

اليورانيوم المنضب سلاح الدول العظمى للدمار الشامل

اقترفت الولايات المتحدة الأمريكية (وبريطانيا العظمى بمقياس اقل) واحدة من اكثر الجرائم ضد الانسانية خطرا في العراق بتسميم تربته ومياهه وهوائه بالاشعاعات النووية، بواسطة استخدام ذخيرة تحتوي على اليورانيوم المنضب (DU) وقد استخدمت هذه الاعددة لأول مرة في العراق عام 1991 في حرب الخليج . واستخدمت ايضا في افغانستان والبلقان وفي الحرب الحالية ضد العراق ويشمل القصف المدن ايضا. وقد تزايدت في هذه المناطق بشكل دراماتيكي التشويبات الولادية والاصابات بالسرطان. وتأثر بذلك الجنود العراقيون والامريكان والبريطانيون المساهمون بالحرب وكذلك قوات هيئة الامم المتحدة لحفظ السلام في البلقان. لقد اصابوا بعدد من الامراض سميت اعراض حرب الخليج واعراض البلقان . وتوفي العديد منهم.

وفي نيسان 2004 عقد في ستوكهولم مؤتمر دولي باسم (التأثيرات البيئية للحرب) حضره علماء واطباء من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا والعراق والسويد. تحدثوا فيه عن الاكتشافات الاخيرة عن اليورانيوم المنضب وتأثيراته على البيئة وصحة الانسان.

وقاما يلي بعض استنتاجاتهم:

جمعية للدراسات والتوثيق لتأثيرات الحرب على البيئة

www.uraniumconference.org

ما هو اليورانيوم المنضب؟

اليورانيوم الطبيعي (ورمزه الكيمياوي U) هو عنصر مشع وسام ومعدن ثقيل. ولليورانيوم ثلاث نضائر : - U238, U-235, U234. يستخدم لانتاج الاسلحة النووية والطاقة النووية اليورانيوم رقم 235. واليورانيوم المنضب هو مخلفات ذلك الانتاج. فاليورانيوم المنضب هو اليورانيوم رقم 235 المنضب المشبع باليورانيوم رقم 238.

وهكذا فان اليورانيوم المنضب هو من صنع الانسان . فهو لم يوجد في الطبيعة وله نفس خصائص اليورانيوم الطبيعي الكيمياوية ولكنه بنصف قدرته على الاشعاع. ولكن عند اغنائه تصبح اشعاعاته اقوى من اليورانيوم الطبيعي.

ولبلوغه نصف عمره ، (اي لكي تبلغ اشعاعته الى النصف) يحتاج الى 5 , 4 مليار عام . وهذا يعني ان اشعاعته ابدية.

اليورانيوم المنضب معدن كثيف وثقيل جدا. يزن تقريبا ضعف ثقل الرصاص . هذه السمة وقدرته على الاشتعال عند صدمه بماسورة الاطلاق جعلته الذخيرة الاكثر ملائمة. وبمرور السنين تراكمت مخازن هائلة من اليورانيوم المنضب حول العالم واخذت مصانع الاسلحة تحصل عليه بدون مقابل تقريبا. والا توجب خزنه في اماكن امينة.

ذخيرة اليورانيوم المنضب في ميدان المعركة

لذخيرة اليورانيوم المنضب طاقة تفجيرية هائلة. وتستعمل ضد الدبابات والتحصينات وتخرق الفولاذ المسلح كما تخرق السكن الزبد . فالحديد يذوب من الحرارة العالية جدا. قذيفة واحدة تستطيع اختراق ثلاث دبابات. وما يسمى بقنابل " العاصفة بالتحصينات" التي تحتوي على 5 , 1 طن من اليورانيوم المنضب تستطيع ان تخرق البنايات العالية من قمته الى اساساتها قبل ان تنفجر.

ينبعث عن قذيفة اليورانيوم المنضب اشعاعات في خمس ساعات اكثر من معدل الاشعاع المسموح به في سنة كاملة في الظروف المدنية.

كانت حرب الخليج في عام 1991 المرة الاولى التي استخدمت بها ذخيرة اليورانيوم المنضب بمقياس واسع في المعركة في جنوب ووسط العراق. فقد اطلقت الدبابات والطائرات في اربعة ايام اكثر من مليون صاروخ يحتوي على ذخيرة اليورانيوم المنضب . وكانت الصواريخ "فعالة" بحيث استخدمت بعد ذلك في بوسنيا وكوسوفو وافغانستان. وتعرض السكان المدنيين في هذه البلدان لنفس الاعراض والامراض كما في العراق.

وفي الحرب الدائرة الان في العراق استخدم اليورانيوم المنضب بكثافة في المدن. وعندما تصيب طلقة او قذيفة او رمانة تحتوي على اليورانيوم المنضب هدفا، دبابة مثلا تشتعل الدبابة وتحترق مع طاقمها. وعندما تشتعل الذخيرة يتبخر اليورانيوم وينتشر في الهواء كذرات اوكسيد اليورانيوم . وتتساقط على

الارض على شكل غبار دقيق وتتغلغل في التربة وفي المياه الجوفية. وما يقرب من 2000 طن من هذا الغبار بقي في جميع ارجاء البلد. ان هذه الذرات تستطيع ان تنتقل الى مسافات بعيدة مع الريح. فقد تأثر به سكان الكويت والسعودية ايضا بعد حرب عام 1991.

وصرح دوك روك وهو ضابط سابق في جيش الولايات المتحدة ورئيس سابق لمختبر الاشعاعات الامريكي الذي عهد اليه بمهمة ازالة تلوث دبابات امريكية محترقة لاصابتها بذخيرة اليورانيوم المنضب بما يسمى "بنيران صديقة":

"لقد امضينا ثلاثة اشهر في تنظيف اربعة وعشرين عربة ، وترك الباقي في مكانه في اراضي واسعة مسممة" وقد توفي 30 عضوا في فريق دوك روك لازالة التلوث المكون من 100، والبقية مرضى.

كيف يؤثر اليورانيوم المنضب على الاعضاء الحية؟

لليورانيوم المنضب تأثير سام مضاعف: الاول كيميائي والثاني نتيجة نشاطه الاشعاعي. ان الخطر الاكبر لا يسببه الاشعاع الخارجي. اليورانيوم المنضب يجب ان يستنشق او يدخل الجسم بطرق اخرى (من خلال المياه الملوثة او الغذاء) ليصبح خطرا. المشكلة هي انه في الاماكن التي استخدم فيها اليورانيوم المنضب لا يمكن على الاغلب منع استنشاق الغبار.

عندما يجري استنشاق ذرات اليورانيوم الصغيرة المجهرية تتغلغل عميقا في الرئتين ويمكن ان تبقى هناك لسنين، وتبعث اشعاعات الى الخلايا المحيطة. واذا ما استقرت ذرة واحدة في عقدة لمفاوية تستطيع ان تخرب كل جهاز المناعة. ويمكن لهذه الذرات ان تتراكم في العظام وفي الجهاز اللمفاوي والكبد والكلية واعضاء وانسجة اخرى. ويمكنه دخول الدماغ والخصي والمبايض وايضا الى الاجنة من خلال المشيمة. وبلاضافة الى السرطان يمكن للاشعاعات ان تحدث تلف جيني.

في مختبر مركز اليورانيوم للبحوث الطبية المستقل في كندا وجد اليورانيوم المنضب في بول الجنود والمدنيين بعد تسع وعشر سنوات من حرب 1991 وسبع سنوات بعد احداث بوسنيا.

العراق مبتلي جديا

تتزايد بشكل دراماتيكي في المناطق التي استخدم فيها اليورانيوم المنضب الاصابة بمختلف اشكال السرطان والتشوهات الولادية. ففي جنوب العراق ووسطه الذي قصف بقنابل اليورانيوم المنضب عام 1991 ابتلى المدنيون خاصة. وقال الدكتور جواد العلي رئيس قسم السرطان في مستشفى محافظة البصرة: "تضاعف عدد الوفيات بسبب السرطان اثني عشر مرة. واكدت دراساتنا الصحية ان 40%-48% من سكان هذه المنطقة سيصابون بالسرطان. اي ما يقرب من نصف السكان المحليين. ان اغلب افراد عائلتي مصابون الان بالسرطان. ولم يصب أي فرد من عائلتنا بالسرطان قبل ذلك مطلقا".

ووفقا لما صرح به الدكتور العلي انه من غير الطبيعي ان يصاب عدة افراد من العائلة بالسرطان وحيانا بنوعين مختلفين منه. وبعد سنة 1991 بدأ يولد في منطقة البصرة اطفال مشوهين بشكل مرعب وغير طبيعي كليا: يولد بعين مزدوجة واحدة (عين واحدة في وسط الجبين) او مشقوق الحنك او بدون اطراف وحتى بدون رأس. وتتزايد عدد الولادات المشوهة تسعة عشر مرة.

وقال الدكتور جواد العلي:

"التأثيرات الجينية جديدة علينا. فقد اخذ الفطر ينمو باحجام هائلة والسمك الذي كان ذات مرة يسبح في نهر رائق اصبح لا يصلح للاكل وحتى العنب في حديقتي تشوه ولا يمكن اكله". والمدنيون الذين على الاغلب لا يعرفون مخاطر اليورانيوم المنضب لا يمكنهم تجنب التعرض للغبار السام. فبمجرد السير على الارض يهيجه فيتصاعد. والاطفال يلعبون بالدبابات المحترقة ويجمعون الشضايا المشعة من الارض. ولم يتخذ أي اجراء لتوعية او حماية السكان.

ابتلى الجنود ايضا

اصيب العديد من الجنود الامريكان والبريطانيين الذين ساهموا بالحرب ضد العراق في عام 1991 بعدد مختلف من الامراض سميت سيندروم الخليج. عموما هي: مختلف اشكال السرطان. واضطرابات عصبية و خلل في جهاز المناعة وعدم انتظام الكلى و ضعف في القدرة على التنفس و تليف الرئتين. و 300000 من اصل 700000 جندي امريكي ساهم في حرب 1991 اصيب بامراض عدم الكفاءة. العديد منهم اعطي نوع من تقاعد المعاقين وما يقارب 13000 ماتوا وهم شباب اختيروا للياقتهم وقوة صحتهم وقدرتهم على الاحتمال.

وقوات التحالف ايضا لا تعي الخطر المميت. وتعرض عدة حالات على المحاكم في البلدان التي لديها جنود في المناطق الملوثة. وحصل بعض الجنود على تعويضات لاصابتهم بالاشعاع..

خطوات تحذيرية

- لا تدخل اماكن كانت هدفا لقذائف اليورانيوم المنضب ، قبل ازالة تلوثها.
- واذا توجب دخولها البس ملابس شخصية واقية (PPE) تتضمن بوتين مطاط وقفازات وعلى الاقل قناع ضد الغبار.
- وتحذير اضافي يجب اخذه هو ان اليورانيوم المنضب يوضع احيانا مع محتويات القنابل العنقودية خلال الهجمات. ولا تنفجر كل القنابل العنقودية اثناء الهجوم ولذلك عدد قليل منها يمكن ان يوجد في هذه الاماكن.
- ويمكن ان يحدث الهجوم في اماكن ملغمة.
- اذا وجدت ذخيرة يورانيوم منضب او اشتباه بوجودها ، لا تلمسها او تجمعها.
- اعلن عن الموقع بعلم او لون دائرة حمراء و اتركها ظاهرة في الموقع.
- اتصل لاعلام السلطات المختصة عما وجدت
- فقط الاشخاص المخولين ومعهم التجهيزات الواقية PPE يسمح لهم التعامل مع اليورانيوم المنضب
- الشخص المخول سيتخذ كل التحذيرات الصحية والاجراءات الوقائية قبل ان يزيل ويخزن بشكل ملائم اليورانيوم المنضب
- ان تاثيرات اليورانيوم المنضب تدوم طويلا في ذرات الغبار والمياه الجوفية الملوثة . ولذلك يجب على السلطات المحلية الاشراف بشكل منظم على هذه المناطق
-

انكار نشط

في سنة 1991 وقبل الحرب امر البنتاغون باجراء دراسة على اليورانيوم المنضب . وحذرت تلك الدراسة من تأثيراته السلبية على صحة الانسان. ومع ذلك فان البنتاغون ينكر بانتظام امكانية اليورانيوم ان يسبب الامراض. وجربو تفسير اعراض مرض حرب الخليج التي لا يمكن انكارها بمختلف العوامل الممكنة: التوتر العصبي بعد الاصابة والتلقحات والتعرض للأسلحة الكيماوية والبيولوجية المنبعثة من المصانع المقصوفة ومن دخان النفط المشتعل. ولكن هذه العوامل لايمكن ان تبرر حقيقة ان نفس هذه الاعراض ظهرت لدى المحاربين في افغانستان والبلقان.

ان سبب هذا الانكار هو انهم يحتاجون لهذه الاسلحة . ففي اذار 1991 عندما كان دوک روك الضابط الامريكي في السعودية ليقوم بمهمة تنظيف الدبابات الامريكية المصابة "بنيران صديقة" استلم المذكرة التالية من الكولونيل زينسكي:

"اذا اثبت اختراق اليورانيوم المنضب احقيته في احداث التاثيرات الحالية المختلف عليها , عندئذ سنتأكد من مستقبل حضوره حتى يتم اكتشاف شيء احسن يمكن تطويره...اذا المفترض لم يؤكد (أي اذا لم تعطي النتائج اسناد كافي لتطوير اكثر لهذه الذخيرة ..الخ) عندئذ يمكن ان نخسر قدرة ثمينة على القتال. اعتقد يجب ان نضع هذه القضية الحساسة في تفكيرنا حينما يصدر التقرير "

كتب المستشار الرئيسي لمنظمة WHO تقريرا بحثيا حادا عن اليورانيوم المنضب اوقفته المنظمة نفسها .. فأي ضغوط تقف وراء هذه الخطوة.

القانون الدولي

يجري انتاج اسلحة تحتوي على اليورانيوم المنضب وتصدر وتستهلك "كاسلحة اعتيادية " . ولا توجد اتفاقيات او قوانين تفرض منعها . ولكن من منظور القانون الدولي هي غير شرعية.

ان استعمال أي سلاح يعمل ضد القواعد التالية ، هو خرق للقانون الدولي:

1- يجب ان تنحصر تاثيرات السلاح على ميدان المعركة الحقيقي فقط

2-يجب ان لاتستمر قدرة السلاح على التشويه والقتل فور انتهاء الحرب

3-يجب ان لا يحدث السلاح أي تخريب يدوم طويلا وواسعا على البيئة.

ان استخدام اليورانيوم المنضب يخرق جميع هذه الاسس التي جاءت في مختلف الاتفاقيات والمعاهدات الدولية:

معاهدة Haag لسنة 1899 و1907

اتفاقية جنيف لعام 1925

معاهدة جنيف لسنة 1949 الفقرة 23

قوانين نورنبرغ الصادرة سنة 1945

معاهدة سنة 1980 "الاسلحة اللانسانية"

وفقا للدستور الامريكي فان المعاهدات والقوانين الاعتيادية متضمنة في القوانين الفدرالية للولايات المتحدة.

ولذلك اذا خرقت الولايات المتحدة القوانين الدولية فانها تخرق قوانينها ودستورها.

ان استخدام ذخيرة اليورانيوم المنضب تحرق عدد من المعاهدات والاتفاقيات الدولية بما فيها اتفاقية منع انتشار واتفاقية منع اختبار اسلحة الدمار الشامل.

قرارات الامم المتحدة والاتحاد الاوربي لتحريم ذخيرة اليورانيوم المنضب

في سنة 1996 دعت لجنة محامي ضد السياسة النووية وحماية حقوق الانسان الامريكية، لجنة الامم المتحدة لحقوق الانسان لتبني قرار تحريم اليورانيوم المنضب والاسلحة النووية والاسلحة الكيماوية والبايولوجية والقنابل العنقودية . وافق مجلس الامن على القرار لولا رفض عضو واحد هو الولايات المتحدة و اخر امتنع عن التصويت . وصوت البرلمان الاوربي لمقاطعة اسلحة اليورانيوم المنضب وكذلك صوت اطباء العالم على تحريم الحرب النووية.

يبدو غريبا جعل القوانين تؤنسن شيئا لا انسانيا كالحرب ونحن نعلم اليوم ان المدنيين خصوصا يعانون من الحرب . ولكن القوانين موجودة وحقيقة خرقها لا تبرر عدم النضال من اجلها.

مسؤوليتنا

قبل عدة سنوات , وخلال الحرب الوحشية لفرنسا ضد الجزائر تحدث جون بول سارتر الى مثقفي فرنسا قائلا:
"مواطني الاعزاء , انتم تعرفون جيدا ماذا يقترب باسمنا – هذا ليس عدلا ! ليس عدلا انكم لم تقولوا كلمة لاحد عنها , وحتى لارواحكم . انكم صامتون لخوفكم من ان تجيبوا انفسكم . اخمن انكم في البداية لم تعوا ما كان يحدث , وبعد ذلك شككتكم بامكانية حدوث مثل هذه الاشياء . ولكن الان انكم تعرفون ومع ذلك انتم صامتون."

المصادر:

الاحسن تنشر كما هي